اجتهادات
تطعيم إجبارى وهولوكوست

فزع شديد ينتاب الآن من يحاولون المحافظة على قدسية أُضفيت على الجرائم التى ارتكبها النازيون ضد بعض اليهود، وعُرفت باسم الهولوكوست أو المحرقة. فى بعض الدول الأوروبية تستطيع مناقشة أى شىء، وكل شىء، إلا الهولوكوست. تُجرم القوانين فى هذه البلدان إنكار الهولوكوست، أو تغيير الرواية السائدة عما حدث ليهود أوروبيين فى ألمانيا النازية، وفى البلدان التى احتلتها خلال المرحلة الأولى فى الحرب العالمية الثانية.

وهذا هو الحدث التاريخى الوحيد على سبيل الحصر الذى يحظى بحماية قانونية مُطلقة لا تتوافر لأحداث وطنية كبرى فى تاريخ هذه الدول، ولا للأديان والعقائد. ولا يعود هذا الإفراط فى تجريم الجدل حول الهولوكوست إلى خوف من مجادلات منكرى الجرائم النازية، لأن الأدلة على وقوعها أقوى من أى محاولة لإنكارها، ولكن إلى إصرار على ترويج رواية واحدة وصورة مُعينة لهذه الجرائم، واستبعاد غيرها.

غير أن الفزع الراهن على قدسية الهولوكوست يرجع إلى اتجاه قطاعات واسعة من المحتجين ضد التطعيم الإجبارى لتشبيه وضعهم بضحايا الهولوكوست. فقد ارتدى عشرات آلاف المتظاهرين ضد الإرغام على التطعيم فى فرنسا نجمات صُفر مثل تلك التى أُجبر يهود على ارتدائها خلال فترة الاحتلال النازى.

ويرفض من يُقدّسون الهولوكوست ما يسمونها تشبيهات (سخيفة ومُضللة). ولكنهم فى حقيقة الأمر يخشون أن يؤدى استخدام حدث, نجحوا فى تجريم الاقتراب منه لعقود طويلة, فى سياق معركة التطعيم إلى تجريده من القدسية التى أضفوها عليه. (إن هذه التشبيهات تجعل الحدث بلا معنى، وتُضعف ذكراه).. هكذا حذر أحد من هالهم ارتداء متظاهرين ضد التطعيم الإكراهى النجمة الصفراء، وطالب بمنعهم من استخدامها، وكأنه لا يكفى القمع الذى يشعرون به من جراء التمييز ضدهم بسبب اعتراضهم على التطعيم.

والحال أن من يفرضون تقديس الهولوكوست باتوا يدركون أن القدسية التى حافظوا عليها طويلا تتداعى الآن. ولهذا لا يلفت انتباههم فى تظاهرات المحتجين ضد قرارات تمنعهم من ارتياد أماكن عامة سوى ارتدائهم النجمات الصُفر، رغم استخدامهم رموزا أخرى فى سعيهم لإظهار أنهم يُعاملون كمواطنين من درجة ثانية.